بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد ..

إن من أعظم النعم، وأجلِّ المنن، وأكبر العطايا، وأشرف الهبات: نعمة الإيمان.

نعمة الإيمان التي قد فقد الشعور بفضلها والحاجة إليها كثيرٌ من الناس، قال تعالى مبيِّنًا فضله وامتنانه على عباده بهذه النعمة: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[الحجرات:٧-٨].

وقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ، وَإِنَّ اللَّهَ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الْإِيمَانَ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ». [رواه الحاكم]

فإنّ من أكبر المنن أن يُحبِّبَ الله ﷻ الإيمان للعبد، ويُزيِّنه في قلبه، ويُذيقه حلاوته، ويُلهمه العمل بمقتضاه، ويُعينه على تطبيق شرائعه.

فإذا تقررلنا هذا في النفوس، ورسخ معناه في القلوب، فإن على الصادق في إيمانه أن يتعلم ضابط الإيمان الذي أمر الله ﷻ به، وأن يقف على كماله وعوائده الحميدة، وأن يعرف مراتب أهل الإيمان، وأن يسعى للعمل بالأسباب التي تزيد في إيمانه وتقوّيه، وأن يتوقَّى الأشياء التي تُنقصه وتضعفه، وأن يتصف بصفات أهله، إلى غير ذلك من الحقائق الشرعية لهذه الدرجة العظيمة من درجات الدين. ألا وهي الإيمان.

الإيمان: هو الإقرار التام والاعتراف الكامل بكل ما أمر الله ﷻ به

ورسوله، والانقياد له ظاهرًا وباطنًا، فالإيمان هو اعتقاد القلب المتضمن لأعمال القلوب وأعمال البدن، وهذا شاملٌ للقيام بالدين كله، ولهذا كان أئمة السلف يُقرّرون ويقولون: الإيمان قولٌ وعمل.

*قول القلب -أي اعتقاده- وقول اللسان.

*وعمل القلب واللسان والجوارح.

قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾[النساء:١٣٦].

وقال ﷻ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾[البقرة:٢٨٥].

فأخبر ﷻ أن الرسول ﷺ ومن معه من المؤمنين آمنوا بهذه الأصول، وهي الإيمان بالله وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، ولم يُفرِّقوا بين

أحدٍ من الأنبياء، بل آمنوا بهم جميعًا، وبما أتوا به من عند الله ﷻ، وأنهم التزموا طاعة الله، فقالوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [البقرة:٢٨٥] وطلبوا من ربهم ﷻ أن يُحقّق لهم ذلك، وأن يعفو عن تقصيرهم ببعض حقوق الإيمان، وأن مرجع الخلائق كلهم إلى الله ﷻ، يُجازيهم بما قاموا به من حقوق الإيمان، وما ضيَّعوه منها.

ومن دخل الإيمان في قلبه وخالطت بشاشته فؤاده، واستجابت جوارحه لنداء ربه ﷻ. فليُبشر بما أخبر الله ﷻ به في كتابه، ووعد به رسوله ﷺ في سنَّته من العوائد المباركة، والثمرات الطيبة، والفوائد النافعة العاجلة والآجلة على القلب والبدن لصاحب الإيمان.

فمن ثمار الإيمان: الارتباط بولاية الله ﷻ، قال سبحانه: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ثم بيَّن

صفتهم بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾[يونس:٦٣]، وقال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة:٢٥٧].

ومن ثمار الإيمان: الفوز برضا الله ﷻ، والنجاة من الشدائد، والحفظ من المكاره، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ [الحج:٣٨].

ومن ذلك أيضًا: التنعُّم بالحياة الطيبة والعيش الآمن في هذه الدنيا، قال سبحانه: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧].

وصاحب الإيمان يُهدَى إلى الحق علمًا وعملًا، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾ [يونس:٩].

ومَنْ صَدَقَ في إيمانه مع ربه. انتفع بالمواعظ والخطب والتذكير وغير ذلك، قال ﷻ: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥].

والمؤمن حقًّا: محبوبٌ لله ﷻ،

ومحبوبٌ بين عباد الله، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾[مريم:٩٦]. أي: محبةً ووِدادًا في قلوب الخلق وأهل السماء وأهل الأرض.

وبالإيمان ينال المرء الدرجات العالية، والمنازل الرفيعة.

*قال سبحانه: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١].

*وقال سبحانه: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة:٢٥].

*وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ أي: لم يخلِطوا توحيدهم وإيمانهم بشرك. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[الأنعام:٨٢].

فإذا وقر الإيمان في القلب. أثَّر في صاحبه ولا بد، فاتّصف بكل خلقٍ نبيل، وقام بكل عملٍ جليل، وحرِص على رضا ربه في صغار الأمور وكبارها، وجدَّ في تحقيق خصال الإيمان،

فالإيمان ليس بالتحلّي ولا بالتّمنّي، ولكنْ ما وقر في القلب، وصدَّقته الأعمال.

*قال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون:١-٣] إلى آخر الآيات.

*وقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان:٦٣] إلى آخر الآيات.

*وقال سبحانه: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[التوبة:١١٢].

وهكذا بيَّن لنا ﷺ صفات أهل الإيمان وخصالهم.

*فقال ﷺ: «الْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ». [رواه الترمذي]

*وقال عليه الصلاة والسلام: «أَكْمَلُ الْمُؤمِنِينَ إِيمَاناً أَحسَنُهُم خُلُقاً، وخيارُكُم خِيَارُكُم لِنِسَائِهِمْ». [رواه الترمذي]

*وقال ﷺ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ

يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ شَارِبُهَا حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ». [متفق عليه]

وهذا يعني أنّ الإيمان يمنع صاحبه من الوقوع في الفواحش، وقال ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ». [رواه مسلم]

وإن من المسائل الكبار والأصول العِظام التي ثبتت بالأدلة القطعية كتابًا وسنَّةً وإجماعًا، وتتابع أهل السنة على مر العصور وتعاقب الدهور على تقريرها: أن الإيمان يزيد وينقص، ويقوى في القلب ويضعُف.

*فيزيد بالطاعة والإقبال على الله جَلَّجَلَالُهُ.

*وينقص بالمعصية والإعراض عن سبيل الله سبحانه.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾[الأنفال:٢].

وقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر:٣١].

وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد:١٧].

وإذا تبيَّن ذلك فعلى المسلم الصادق في إيمانه أن يسعى إلى تحصيل الأسباب التي تحفظ إيمانه، وتزيد من قربه من ربه، وأن يتجنّب الأسباب التي تُنقص إيمانه وتُبعده عن ربه، فهكذا كان سلفنا الصالح -رَحِمَهُم الله تَعَالَى-.

*كان عبد الله بن رواحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يأخذ بيد النفر من أصحابه فيقول: "تعالوا نؤمن ساعة، تعالوا فلنذكر الله ونزداد إيمانًا بطاعته".

*وكان أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: "من فقه العبد أن يعلم أمُزْدادٌ هو أو منتقص؟".

*وقال عُمير بن حبيب الخطمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

"الإيمان يزيد وينقص، فقيل: وما زيادته ونقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله عَزَّوَجَلَّ وحمِدنا وسبّحناه فذلك زيادته، وإذا غفلنا وضيعنا ونسينا فذلك نُقصانه".

ألا وإن من أعظم أسباب زيادة الإيمان:

-قراءة كتاب الله جَلَّجَلَالُهُ، وتدبُّره والوقوف على معانيه.

-ومعرفة أسماء الله جَلَّجَلَالُهُ الحسنى وصفاته العُلى.

-والتأمُّل في سيرة النبي الكريم ﷺ.

-وفي محاسن هذا الدين العظيم الذي أكرمنا الله جَلَّجَلَالُهُ باعتناقه.

-وبالتأمل في آيات الله الكونية.

-وبالاجتهاد في الطاعات بأنواعها فرضها ونفلها.

وإن من أعظم أسباب نقصان الإيمان:

-الجهل والغفلة، والإعراض عن الله جَلَّجَلَالُهُ، قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[طه:١٢٤].

-وهكذا فعل المعاصي وارتكاب الذنوب

بأنواعها وتفاوت مراتبها

-واتباع خطوات الشيطان، والاستجابة لوساوسه، قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾[النور:٢١].

-والإقبال على الدنيا والافتتان بها.

-وعدم القناعة منها، وتقحُّم أبواب الحرام في طلب المعيشة.

ومن أسباب ضعف الإيمان: رفقاء السوء، فإنه ليس شيءٌ أبلغ في فساد الرجل وصلاحه من صاحب، قال ﷺ: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ». [رواه أبو داود]

فنسأل الله علمًا نافعًا وإيمانًا دائمًا وهديًا قيّمًا، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا المبعوث رحمة للعالمين.

سلسلة مطويات شبكة بينونة

أثر الإيمان في حياة الإنسان

الشيخ يوسف بن حسن الحمادي

@Baynoonah @Baynoonah.net www.baynoona.net